ولو كنت معي ، يا ولد ، حين عبرنا طريق اللطرون نحو اورشليم ، لرأيت امـــامك الخط الاخضر مرسوما بالفعل على الطبيعة نفسها بخضرة جبالنا المكسوة بأشجـــار الصنوبر، الشجرة تخاصر الشجرة والغصن يصافح الغصن وفي ظلها يتعانق المحبون. ثم كنت سترى ، قبالة جبالنا المكسوة ، جبالكم العارية حتى بلا اسمال تخفي عوراتها المكشوفة صخورا ظلت تبكي ربع قرن حتى سحّت عنها كل التربة . دعونا نكفكف دموع الصخر واما انتم فلا تكفوا عن الانشغال بدموعكم وأنتم تبنون القصور في اعالي الصخور .

— ألهذا هدمتم قرى اللطرون ، عمواس ويالو وبيت نوبا ، وشردتم اهاليها ، يا معلمي الكبير ؟

قال : لقد أبقينا على الدير لرهبانه ، مجلبة للسائحين ، وعلى المقابر لذويها ، ايمانا برب العالمين . وورثنا هذا الرحب بهذه الحرب . والذي فات مات . وهو مثل امريكي من أصل الماني .

وما بلغ هذا البيت من شعره حتى كانت السيارة تبلغ بنا بيوت عين جـــالوت التاريخية ، التي اعيدت الى اصلها التوراتي — عين حارود . وفيها عين ماء تصب في بركة انشأها اهل الكيبوتس ويؤمها اهالي الناصرة ليتبردوا وليشتموا المغول .

فأردت ان اجاريه في شعره فشدني من شعري قائلا : لا يكن لك فكر . لقد انتصرتم على المغول في وقعة عين جالوت لانهم جاؤوا لينهبوا وليذهبوا . أما نحن فاذا نهبنـــا فنهب لنبقى . واما انتم فالذين يذهبون. اصرف عنك هذه الوساوس التاريخية واستعد لدخول سجن شطة .

وما ان قال هذا الكلام حتى وقع تغير فجائي في وجه الطبيعة من حوالينا . زالت الخضرة في طرفة عين فلم تعد العين ترى سوى أرض جرداء وصخور قمراء ، على اليمين وعلى اليسار وعلى امتداد البصر ، كانما كنا نشاهد مسرحا هبط في خلفـــه منظر وارتفع في مكانه منظر .

فقلت متهكما وأنا اتظاهر بالجهل بالجيوبوليتيكا : ها نحن خرجنا عن الخط الاخضر ودخلنا في خط العرب الاغبر ، الذين تركوا اراضيهم انتيكا .

فزجرني وصاح : كنت أحسبك حمارا فاذا أنت أحمـــر . انظر أمامـــك فترى الى م ستدخـــل .

فنظرت امامي فاذا ببناء ضخم ينتصب امامي ، كالفول في الصحراء . جدرانـــه الداخلية مطلية بالكلس الابيض . وحوله سور عال مطلي بالدهان الاصفر ، لامر ما . وفوق سطوحه انتصبت كمائن الحرس ، المشرعي السلاح ، على اربعة اطرافه . فهالنا مشهد هذه القلعة الصفراء ، لا خضرة ولا كسوة ، وهي ناتئة ، كالدمـــل السرطاني ، على صدر أرض مريضة بالسرطان . حتى انه لم يتمالك نفسه عن القول: سجن شطة الرهيب ، ما اروعه !

فوجدتني أهمس وأنا مشرئب العنق هلعا : ما شاء الله !

قال : مدير السجن هو الذي يشاء فانزل اوصيه بك .